إنجيل متى ٤: ١-١١

تجارب في البرية

تأليف: تومي ساوث

«ثم أصعد يسوع إلى البرية من الروح، ليجرب من إبليس. فبعد ما صام أربعين نهاراً وأربعين ليلة، جاع أخيراً، فتقدم إليه المجرب وقال له: «إن كنت ابن الله، فقل أن تصير هذه الحجارة خبزاً!» فأجاب وقال: «مكتوب: ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل كلمة تخرج من فم الله!» ثم أخذه إبليس إلى المدينة المقدسة، وأوقفه على جناح الهيكل، وقال له: «إن كنت ابن الله، فاطرح نفسك إلى أسفل، لأنه مكتوب: أنه يوصي ملائكته بك، فعلى أياديهم يحملونك لكي لا تصدم بحجر رجلك!» قال له يسوع: «مكتوب أيضاً: لا تجرب الرب إلهك!» ثم أخذه أيضاً إبليس إلى جبل عال جداً، وأراه جميع ممالك العالم ومجدها، وقال له: «أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لي!» حينئذ قال له يسوع: «اذهب يا شيطان! لأنه مكتوب: للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد!» ثم تركه إبليس، وإذا ملائكة قد جاءت فصارت تخدمه» (متى ٤: ١-١١).

يذكر كل من متى ومرقس ولوقا انه حالما أعمتد يسوع من قبل يوحنا، ألزمه الروح القدس ان يذهب إلى البرية لمدة أربعين يوماً لكي يجرب، والذي نشير إليه عادة بـ «تجارب» يسوع. هذه التجارب هامة من ناحيتين:

أولاً: انها هامة لهوية يسوع ولإرساليته كالمسيا المنتظر. قد أعلن عنه صوت من السماء جهراً انه ابن الله (متى ٣: ١٧). والآن السؤال هو: هل سيقبل مهمته كمخلص وكمسيا، أم سيمنعه إبليس؟ ان مقاومته الناجحة لكل من محاولات إبليس ليزعزعه تثبت انه سيقبل دعوته كالمسيا.

ثانياً: انها هامة بالنسبة لنا. كمثال أسمى لمقاومة تجربة بفعالية. لا يوجد شيء شائع أكثر في خبرة البشر من التجربة، وقد شارك يسوع معنا مشاركة كاملة في هذه الخبرة (عبرانيين ٤: ١٥). بمشاركته هذه، أظهر كيف نقاوم تجربة ما ونتغلب عليها.

هذا يقودنا إلى سؤال مهم: هل جُرِبَ يسوع حقاً؟ هل كان من الممكن أن يذعن لتلك التجارب؟ أم انه كان «يمر بأحاسيس» فقط كمثال لنا؟ هل من المحتمل ان التجارب كانت لابن الله بالطريقة نفسها كما تكون لنا اليوم؟

أولاً: ينبغي أن نقبل المعنى الظاهري للعبارة التي وردت في عبرانيين ٤: ١٥ بان يسوع كان قد جُرِبَ «مثلنا». الفكرة بان الخطية كانت مستحيلة ليسوع تجرد تلك العبارة من معنى هام. تشمل تجاربنا على احتمال حقيقي للخطية، إذا كانت تجاربه «مثل تجاربنا» حقاً، فلا بد انها شملت أحتمال الخطية أيضاً. رفض احتمال استسلام يسوع للتجربة، يكون له تضمينات خطيرة بخصوص إنسانيته. أذكر انه كان «ابن الإنسان» كما كان أيضاً «ابن الله». لا ينبغي ان نمجد ألوهيته على حساب {أو بالتقليل من} إنسانيته. أخيراً: ينبغي أن ندرك أن تجارب يسوع كانت بالحقيقة أكثر صعوبة من تجاربنا لأنه قاومها تماماً. اننا لا نعرف شدة أية تجربة حتى نقاومها تماماً. الذي يستسلم إلى تجربة قد يقول بان التجربة «كانت شديدة جداً». ولكن الذي لم يستسلم هو وحده الذي يعرف كيف كانت شدة التجربة حقاً! يعلمنا يسوع بالمثل انه يمكن مقاومة التجربة بنجاح.

قد ندرس تجارب يسوع من عدة زوايا.

الملاحظات التالية ذات أهمية خاصة في العمل بالمثل الذي أظهره يسوع في صراعنا مع تجربة إبليس.

جُرِبَ يسوع عندما كان تحت سيطرة الروح القدس كلياً

يقول إنجيل متى ٤: ١ «أصعد يسوع إلى البرية من الروح»، ويقول إنجيل مرقس ١: ١٢ «... أخرجه الروح إلى البرية». ويضيف إنجيل لوقا ٤: ١ بان يسوع كان «ممتلئاً من الروح القدس. وكان يقتاد بالروح في البرية». النقطة الأساسية هي انه من الواضح ان هذه كانت إرادة الله له ان يمر بالتجربة في ذلك الزمان. لم تكن الفكرة هي لاقتياد يسوع إلى الخطية، وإنما ليقوي عزمه بالتجربة. تعلمنا رسالة يعقوب ١: ٢-٤ أن لا نفسر أوقات التجربة مثل هذه بخطأ في حياتنا. انها ليست خطية في حد ذاتها، وليست علامة عدم رضى الله أو ضعفنا الروحي.

تأمل في هذا، كان يسوع قد اعتمد قبل وقت قريب، وكان الله قد نطق بتأييده لابنه، وكان يقتاد بالروح. لقد كان قريباً من الله قرابة الإنسان! ومع ذلك مر بالتجربة ! فلا تشعر بالذنب إذا ما جُرِبْتَ قد تكون هناك تجارب في حياتك، ليس بسبب شيء غير صحيح فيها، ولكن بسبب شيء صحيح. اذكر بان أيوب مر بتجربة قاسية، وذلك ليس بسبب عدم رضى الله، بل لأن أيوب كان حسب قول الله أفضل إنسان على الأرض في أيامه (أيوب ١: ٨)! هكذا أيضاً يسوع بعد معموديته وهو على وشك ان يشرع في مهمته كمخلص العالم. لا يمكن لإبليس أن يترك الصلاح والتكريس دون ان يتحداهما. عندما تكون تجاربك عظيمة جداً، لا تستسلم. ربما انك قريب من أعظم إنجازات حياتك الروحية، كما كان يسوع. شق طريقك، وقاوم تحديات التجربة وتعلم منها!

لم يكن الانتصار على التجربة حدث المرة الواحدة بالنسبة ليسوع

إذا سُئِل: «كم مرة جُرِبَ يسوع؟» قد يجيب معظم الناس: «ثلاث مرات». ذكرت الأسفار المقدسة ثلاث تجارب محددة فقط. يقول إنجيل لوقا ٤: ١ و٢ بان يسوع كان في البرية لمدة أربعين يوماً يجرب من إبليس خلال هذه الفترة كلها. «انه كان في نهايتها {أي في نهاية الأربعين يوماً}» عندما جاء إليه إبليس بثلاثة تجارب كبيرة. و أيضاً يذكر إنجيل لوقا ٤: ١٣ انه بعد هذه التجارب الثلاثة «فارقه إبليس إلى حين». تبين الأناجيل الأربعة ان إبليس هاجم يسوع بتكرار خلال خدمته الأرضية، ربما هاجمه بشراسة في بستان جثسيماني. هكذا أيضاً، إن كنا نأخذ عبرانيين ٤: ١٥ بجدية، ينبغي ان نستخلص بان يسوع قد مر بكثير من التجارب «العادية» خلال حياته الأرضية – نوع التجربة التي نمر (أنت وأنا) بها يومياً كمسيحيين.

قد نتوقع تقريباً الخبرة نفسها التي كانت لربنا. بكل تأكيد، ستأتي أوقات التجارب الحادة تلك، ربما في أوقات حاسمة جداً في حياتنا (أنظر بطرس الأولى ٥: ٨). وهذه خطيرة للغاية روحياً. كم عدد الذين سقطوا من المسيح عند تغيير العمل، أو عند الزواج، أو الترحال، أو إنجاب الأطفال، أو الطلاق، أو التقاعد، إلخ؟ عادة ما تكون هذه المناسبات «انتهاز فرصة» بالنسبة لإبليس لكي ينقض، ولكن تأتي التجارب أيضاً يوماً بعد يوم. لا يمكن أبداً أن نعتبر مهمتنا لمقاومة إبليس «قد انتهت». يجب أن نحترس في كل الأوقات. سيستخدم إبليس كل مناسبة ليلحقنا بالضرر. قد يهرب إلى حين، ولكنه يعود دائماً!

استخدم يسوع الأسفار المقدسة كسلاح ضد التجربة

كل مرة واجه فيها إبليس ربنا بتجربة معينة، أجاب يسوع بقوله: «مكتوب ...» (متى ٤: ٤، ٧ ، ١٠). كانت استجابته لكل تجربة هي بكلمة من الله. النقطة الأساسية ليست أن الكلمات كانت «سحرية»، وإنما كل إنسان الله، رجلاً كان أم امرأة، الذي يتبع مباديء الكتاب المقدس الواضحة التي تعبر عن مشيئة الله

سيتغلب على تجربة في مناسبات كثيرة، وذلك أن يجعل الأسفار المقدسة تنهي الموضوع.

لهذا السبب، إن كنت مسيحي جاد وتحاول تجتنب الخطية بقدر المستطاع، لا بد أن تكون جاداً في دراسة الكلمة مدى الحياة ! هذه الدراسة المتواصلة هي لغرض البقاء أكثر منها تربوياً. قد يجيب شخص ما: « اني أعتمد فقط على الروح {القدس} ليرشدني ». ولكن كلمة الله هي « سيف » الروح (أفسس ٦: ١٧). لا يعمل الروح القدس بكل فعالية في حياتك إذا شئت أن تبقى جاهلاً للكلمة! هذا بمثابة أن تطلب من كارل لويس (العداء) ان يعدو في مسابقة ١٠٠ متر بدون الحذاء المرزز. إن لم تكن تلميذاً جاداً في الأسفار المقدسة، قد ينتصر الشيطان في حياتك كل يوم – وربما لا تدري بذلك![1]

كان سلاح يسوع المطلق هو ثقته غير المتزعزعة في الله

الأستجابات التي أدلى بها يسوع من الأسفار المقدسة على التجارب كانت كلها تعبيراً عن ثقته في بر الله وتدبيره. قد حاول إبليس مراراً ان يجعل يسوع يفقد ثقته بالله ويعتمد على نفسه عوضاً عن ذلك، وليضع إرادته أولاً قبل إرادة الله. ينطبق هذا أيضاً على تجاربنا. كم من تجاربنا هي ذات علاقة بحيويتنا؟ نمر بتجربة لنرتكب خطأ أو لنتجاهل الله لأننا غير متأكدين إذا ما كان الله سيوفر لنا إذا فعلنا ما ندرك انه صحيح! كان يسوع واثقاً، واثقاً جداً بحيث يقول بلا تردد : « كلا » لإبليس. حالما انتهت التجارب، « إذا ملائكة قد جاءت فصارت تخدمه » (متى ٤: ١١). قد وفر له الله ! سيوفر الله لك أيضاً. سيعطيك القدرة والتدبيرات التي تحتاج إليها لكي تحيا ملء الحياة.

الخلاصة

هذه هي النقطة الأساسية: لكي تتغلب على التجربة والخطية في حياتك، ثق بالله. ثق بصلاحه، وبقوته، وبكلمته. ستكون التجربة دائماً جزء من الحياة على هذه الأرض، ولكن لا يجب ان تكون شيء لا يمكن قهره. « لم تصبكم تجربة إلا بشرية. ولكن الله أمين الذي لا يدعكم تجربون فوق ما تستطيعون، بل سيجعل مع التجربة أيضاً المنفذ لتستطيعوا أن تحتملوا » (كورنثوس الأولى ١٠: ١٣).

تطبيقات في الحياة

« شروط » الحياة

قال عازف البيان المشهور أرثر روبينشتين عند الاحتفال بعيد ميلاده الرابع والثمانون: « ما دمنا نملك ما بداخلنا، أي القدرة على المحبة، والعمل، والاستماع إلى الموسيقى، لنرى زهرة، ولنرى العالم كما هو، فلا شيء يمنعنا من ان نكون سعداء ... ولكن يجب أن تأخذ شيئاً واحداً بجدية وهو أن تتخلى عن شروط الحياة. يقول كثير من الناس: سأكون سعيداً – إذا حصلت على مهنة معينة، أو إذا ما كنت أجمل مظهراً، أو إذا زوجتُ شخصية معينة. لا يوجد شيء مثل هذا. يجب أن تحيا حياتك بلا شرط، من غير شروط الحياة ».

قاوم إبليس

قال إنسان ما قضى كثير من سنين حياته يقبض على الحيوانات الوحشية، قال ذات مرة عن الذئب انه إذا ما هوجم، ينتبه الذئب إلى جدية أو شراسة الهجوم، إذا أظهر تصميم عظيم،

[1] لا يجب أن نظن بان يسوع استخدم قواته الإلهية لينتصر على العدو، لأن ذلك ما أراد منه العدو أن يفعل ! بل اسخدم يسوع الأسفار المقدسة المتاحة لنا اليوم: قوة روح القدس الذي من الله (متى ٤: ١) وقوة كلمة الله (« مكتوب ... »). مقتبس من وارن و. ويرسبي.

يفر الذئب. ولكن إذا لاحظ الذئب ان هناك شيء من الخوف في مطاردته، يدافع عن نفسه بشجاعة عظيمة. هكذا الحال أيضاً مع إبليس نفسه: فانه يجربنا أولاً بوضع شيء ما في طريقنا، وإذا لم نبدي أية مقاومة، ينقض علينا فجأة بكل قوة ، وينتصر علينا.

بقلم/ و. و. لاندروم

الأكاليل الثلاثة التي قدمت للمسيح

١. الإكليل الذي قدمه له إبليس: « أعطيك هذه جميعها ... » (متى ٤: ٩).

٢. الإكليل الذي قدمه له الناس: « ... أنهم مزمعون أن يأتوا ويخطفوه ليجعلوه ملكاً » (يوحنا ٦: ١٥).

٣. الإكليل الذي قدمه له الله: « أين هو المولود ملك اليهود؟ » (متى ٢: ٢).

توازن

اعتاد ر. بيل ان يقول: « طوبى للإنسان الذي يحافظ على نفسه بتناغم ».

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧